مَعالِم بناءُ المَعاني لآياتِ الظِهار وكفارَته فِي سُورَةِ المُجادلةِ

إعداد

أ.أحمد مسعد محمد رجب
باحث بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب - جامعة دمنهور

أ.د. مروة شحاته الشقرفي
أستاذ الأدب بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة دمنهور

دورية الانسانيات - كلية الآداب - جامعه دمنهور
العدد (64)- الجزء الأول - لسنة 2025

مَعَالِم بِنَاءُ المَعَانِي لآيَاتِ الظِهَار وكَفَّارَتُه فِي سُورَةِ المُجَادَلَةِ

أ.أحمد مسعد محمد رجب

مُلَخَّص البحث :

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم , وأسرار نظمه متمثلةً في آياتِ الظِّهَار التي وردت في سورة المُجَادَلة دون غيرها من السور , وذلك من الآية الأولي إلى نهاية الآية الرابعة , والتوقف مع أسلوبه المُعجِز في التربية الإيمانية الصحيحة , وربط تلك الآيات بالمقصد العام للسورة الكريمة بصفة خاصة , ومقاصد القرآن الكريم بصفة عامة .

تناول التمهيد مصطلح (بناء المعاني) ، بوصفه دراسة العلاقات بين المعاني المُكَوِّنَة للآيات , وكيفية ترتيب بعضها على بعض , واتصال الثاني منها بالأول , والبحث عن كيفية بناء تلك الكلمات والجمل المكونة لتلك الآيات , مع مراعاة التشابُك بينها .

وعَرَضَ التمهيدُ أيضًا مدخل إلى السورة الكريمة , وما وَرَدَ من أسمائها , وتوقف عند مقصدها العام ، وهو بيان ما ينبغي أن يتصف به المُسْلِم الحَقّ ، وتصحيح عقيدته وعلاقاته في أموره المختلفة , وذلك بِعَرْضِ أحداثٍ أُخِذَتْ من وقائع حدثت في المجتمع المُسْلِم , وهو ما يتناسب مع مقاصد القرآن الكريم : بناء العقيدة الإسلامية ، وتقرير عبودية الله تعالى , وتحقيق مصالح الإنسان في الدارين .

واتَّضَحَ أنَّ آيات الظِّهار الواقعة في السورة الكريمة تهتم بشأن الفرد في المجتمع ، وتضع له الضوابط الصحيحة ، التي تخلق شخصية مسلمة سوية .

وقد عالجت الآيات (1 – 4) قضية الظِّهَار ، وجعلته مِنْ مُنْكَرِ القولِ وزُورِهِ , وفرضت الكفارة على من يتلفظ بذلك القول الأثيم .

اعتمد البحث على المنهجَ الوصفي التحليليّ ؛ للتمكن من التَّتَبُّع الدقيق للظواهر البلاغيَّة في النص القرآني وتصنيفها وتقسيمها ، ثم تحليل تلك الظواهر وتعليلها وربطها بالسياق والغاية ؛ للوصول إلى مقاصدها .

الكلمات المفتاحية : بناء المعاني , الظِّهار , سورة المجادلة .

This research aims to reveal some aspects of the miraculousness of the Noble Qur'an, and the secrets of its systems, represented in the verses of the manifestation that are mentioned in Surat Al-Mujadala without other surahs, from the first verse to the end of the fourth verse, and stopping with its miraculous method in correct faith education, and linking those verses to the purpose The general purpose of the Holy Surah in particular, and the purposes of the Holy Qur'an in general.

The preamble dealt with the term (construction of meanings), as it is the study of the relationships between the meanings that make up the verses, how to arrange some of them on each other, and the connection of the second with the first, and the search for how to build those words and sentences that make up those verses, taking into account the intertwining between them.

The preamble also presented an introduction to the noble Surah and its names, and stopped at its general purpose, which is an explanation of what a true Muslim should be characterized by, and the correction of his faith and his relationships in his various matters, by presenting events taken from events that took place in the Muslim community, which is consistent with Objectives of the Noble Qur'an: Building the Islamic faith, affirming servitude to God Almighty, and achieving human interests in both worlds.

It became clear that the verses of Al-Zihar in the noble Surah concern the individual in society, and lay down for him the right controls that create a healthy Muslim personality.

Verses (1-4) dealt with the issue of zihaar, and made it one of the reprehensible and false statements, and imposed expiation on those who uttered those sinful words.

The research relied on the analytical descriptive approach. To be able to accurately trace the rhetorical phenomena in the Qur'anic text, classify and divide them, then analyze and justify these phenomena and link them to the context and purpose; to reach its purposes.

Keywords: Building meanings, zihar, Surat al-Mujadala.

المُقَدِّمَة :

الحمدُ لله تعالى حَمْدًا يَفْتَحُ أبواب الفَهم لأسرارِ كلامه , والصلاةُ والسلامُ على حبيبنا وشفيعنا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكُلّ مَن اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وصَارَ عَلَى نَهْجِهِ إلى يوم الدين .

مما لا شك فيه أن كتاب الله (عزّ وجلّ) ، الذي أنزله على نَبِيِّهِ مُحَمَّد (ρ) أصحّ الكلام , وغيرُ خَافٍ أَنَّ دراسة بناء معاني السور القرآنيَّة من أعظم غايات الدرس البلاغي .

والمقصود ببناء المعاني : ترتيب الأفكار والموضوعات – التي تتناول آيات الظِّهَار وكَفَّارَته في سورة المجادلة (الآيات 1 – 4) – في بناءٍ واحد , واتصالها وترابطها , وتَوَلُّد بعضُهَا مِنْ بَعْض , وتوزيعها بين ما هو أساسي وما هو فرعيّ ؛ لتحقيق المقصد الرئيس الذي جاءت السورة من أجله ؛ ولذلك نَدْرُسُ السُّورَةَ في بناءٍ واحدٍ مُحْكَم البُنْيَان ؛ لِتَكُونَ الآياتُ أجزاءَ ذلك البنيان ولَبَنَاته .

ولهذا البُنْيَان ركائزٌ هي المعاني الرئيسة والمقاصد الأساسية ، التي تفرعت منها معانٍ أُخْرَى فَرْعِيَّة ؛ فهي دراسة تهتم بالبحث عن الروابط الداخليَّة للنص القرآنيّ , والكشف عن مقاصدها الأساسية , وموضوعاتها الفرعيَّة , وتماسُك معانيها وموضوعاتها , وترتيبها على بعضها , وكذلك التشابُك بين تلك المعاني ، إنها تَتَبُّعٌ لِسَيرِ المَعَانِي في السورة بعد الدراسة لبلاغة الآيات ، والتأمُّل في العلاقات بينها .

وللوصول إلى هذا التَّسَلْسُل لا بُدَّ من الوقوف مع السورة الكريمة , من حيث اسمها ؛ فهذا الاسم قد يكون مِفْتَاحًا لمعرفة مقاصدها ، والربط بين موضوعاتها ، ولا بُدَّ من دراسة محاور السورة القرآنية ، وعلاقاتها بموضوع السورة .

ومقصد السورة هو مغزى السورة ، الذي ترجع إليه معاني السورة ومضامينها ؛ فهو الجامع لمعانيها وعلاقاتها , وكذلك بداية السورة ومطلعها ؛ فقد يكون مطلع السورة مِفْتَاحًا لمعرفة مَقْصِدِهَا ؛ إنها براعة الاستهلال التي تَمْتَدُّ عَبْرَ محاور السورة .

وتجدر الإشارة إلى ضرورة الاطلاع على الآثار الواردة عن التابعيينَ والسَّلَف الصالح في بيان ما أُنْزِلَتْ فيه السُّورَة ؛ مِمَّا يَكُونُ مُنْطَلِقًا لتحديد مقصدها ، مع النظر إلى كُتُب التفاسير المختلفة , وأقوال العُلَماء والمُفَسِّرِينَ في مقاصدها وأغراضها ، ومعرفة أوجه الاستدلال بالسُّورَة , والموضوعات التي وَرَدَت فيها , والقضايا التي عالجتها , والأحكام والتشريعات الواردة فيها .

فعند الوقوف على مطلع سورة المجادلة :{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} نشعر بمقصود الآيات ، وما تحمله من معانٍ . فقد بَيَّنَتِ السورةُ الظِّهَارَ وحُكْمِه وكَفَّارَتُه .

ويهدف البحث إلى الكشف عن معالم بناء المعاني في آيات الظهار وكفارته بِوَصْفِهَا وَحْدَةً وَاحِدَة .

وقد تناول التمهيد : مصطلح (بِنَاء المَعَانِي) ، ومَدْخَلٌ إِلَى سُورَةِ المُجَادَلَةِ .

واعتمد البحث على المنهجَ الوصفي التحليليّ ؛ من أجل التَّتَبُّع الدقيق للظواهر البلاغيَّة في النص القرآني وتصنيفها وتقسيمها ، ثم تحليل تلك الظواهر وتعليلها وربطها بالسياق والغاية ؛ للوصول إلى مقاصدها وأهدافها وأغراضها , وكذلك الكشف عن العلاقات بين الموضوعات والآيات .

التَّمْهِيد :

لا شَكَّ في أن القرآن الكريم نزل مُفَرَّقًا على النبي الكريم (ρ) على وَفْق الأحداث ؛ لتثبيتِ قَلْبِ النبي (ρ) ؛ وللرَّدِّ على ما يُسْتَجَدُّ من أحوالِ المُشْرِكِينَ والمُنَافِقِينَ ، وتِبْيَانًا لكل شيء ، وهُدًى ورَحْمَةً لِلعَالَمِينَ .

ولا نستطيع أنْ نُنْكِرَ أنَّ البلاغة من أجلّ العلومِ العربيَّة وأعظمها , وأحقّها بالتعلُّم , بعد كتاب الله (عزّ وجَلّ) ؛ فبها نَقِفُ على إعجازِ القُرْآنِ الكريم ، وحُسن براعته ونَصَاعته , ونَتَبَيَّنُ عَجْز العرب عن الإتيان بِمِثْلِهِ , وقُصُورهم عن بُلُوغ غاياته [1] .

تَهْتَمُّ البلاغة بالمعنى ، ووضع الألفاظ موضعها ؛ فهي « إنهاء المعني إلى القلب » [2] ، ووصوله إلى النفس في أحسن صورة من اللفظ .

وجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أنَّ بناء المعاني ، وترتيب بعضها على بعض ، وتعانُقها ، وكشف الروابط بينها من أهداف البلاغة العربيَّة , ويؤكد ذلك قول عبد القاهر الجُرْجَانِيّ (ت471هـ) في كتابه (أسرار البلاغة) : « واعلم أن غرضي في هذا الكلامِ الذي ابتدأته ،

---

(1) انظر : أبو هلال العسكريّ : كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكُتُب العربية ، القاهرة ، ط1 ، 1371هـ - 1952م ، ص 1 .

(2) المصدر السابق ، ص 8 .

والأساس الذي وضعته ، أن أتوصَّل إلى بيان أمر المعاني كيف تَخْتَلِفُ وتَتَّفِقُ , ومن أين تَجْتَمِعُ وتَفْتَرِقُ , وأُفَصِّلُ أجناسها وأنواعها , وأَتَتَبَّعُ خاصَّها ومُشَاعَهَا » [3] .

وقوله في كتابه (دلائل الإعجاز) : « واعلمْ أنَّ ممَّا هو أَصلٌ في أنْ يَدِقَّ النظرُ ، وَيَغْمُضَ المَسْلَكُ ، في تَوَخِّي المعاني التي عرفتَ : أَنْ تَتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ ، ويَدْخُلَ بَعْضُها فِي بَعْضٍ ، وَيَشْتَدَّ ارْتِبَاطُ ثَانٍ مِنْهَا بِأَوَّلٍ ، وَأَنْ تحتاج في الجملة إلى أن تضَعَها في النفس وضعًا واحدًا ، وَأَنْ يَكُونَ حَالُكَ فيها حَالَ البَانِي يَضَعُ بيمينه ههنا في حالٍ ما يَضَعُ بيَسارِهِ هناك ... وفي حالِ ما يُبْصِرُ مكانٌ ثَالِثٌ وَرَابِعٌ يَضَعُهُمَا بَعْدَ الأَوَّلَين » [4] .

التحليلُ البلاغيُّ لكل باب من أبواب البلاغة كشفٌ عن جوانب المعنى ؛ فاللغة في البلاغة ليست مقصودة لذاتها , وإنما هي مدخلٌ للنفاذ إلى المعاني , والكشف عن حركتها ، وذاك هو المقصود .

أَوَّلاً : مُصْطَلَح (بِنَاء المَعَانِي) :

البِنَاءُ لُغَةً : من (بَنَى) البَاءُ وَالنُّونُ وَالياءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ بِنَاءُ الشَّيْءِ بِضَمِّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ ، ومن (بَنَوَ) البَاءُ وَالنُّونُ وَالوَاوُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَهُوَ الشَّيءُ يَتَوَلَّدُ من الشَّيءِ ، كَابْنِ الإِنْسَانِ وَغَيرِهِ [5] .

وفي الاصطلاح : يَعني ترتيب الأشياء فوق بعضها وضمّها بطريقة ما لتصل في النهاية إلى بناءِ صُورَةٍ مُتَكَامِلَة واضحة المعالم , تَكَوَّنَتْ من أجزاء صغيرة ، ورُتِّبَتْ فوق بعضها بطريقة خاصَّة ؛ حَتَّى وصلت إلى الصورة التي جاءت عليها .

المعاني لُغَةً : من (عَنَى) العَينُ وَالنُّونُ وَالحَرْفُ المُعْتَلُّ أُصُولٌ ثَلاثَةٌ : الأَوَّلُ : القَصْدُ لِلشَّيءِ بِانْكِمَاشٍ فِيهِ وَحِرْصٍ عَلَيهِ ، وَالثَّانِي : دَالٌّ عَلَى خُضُوعٍ وَذُلٍّ ، وَالثَّالِثُ : ظُهُورُ شَيءٍ وَبُرُوزُهُ ؛ فمَعْنَى كُلِّ شَيءٍ : مِحْنَتُهُ وَحَالُهُ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيهَا أَمْرُهُ ، والمَعْنَى هُوَ

---

(3) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى ، القاهرة ، دار المدني ، جدة ، ط1، 1412هـ - 1991م ، ص 26 .

(4) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ط2 ، 1989م ، ص 93 .

(5) انظر : ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، القاهرة ، 1399هـ - 1979م ، بَابُ (البَاءِ وَالنُّونِ وَمَا يَثْلِثُهُمَا فِي الثُّلَاثِيّ) ، 302/1 - 303 .

القَصْدُ الَّذِي يَبْرُزُ وَيَظْهَرُ فِي الشَّيءِ إِذَا بُحِثَ عَنْهُ ، يُقَالُ : هَذَا مَعْنَى الكَلامِ وَمَعْنَى الشِّعْرِ ، أَي الَّذِي يَبْرُزُ مِنْ مَكْنُونِ مَا تَضَمَّنَهُ اللَّفْظُ [6] .

والمعنى – كما يرى عبد القاهر الجُرْجَانِيّ – ما يَتَوَلَّد من ارتباط الكلام بعضه ببعض ، يقول : « وإذ قد عَرَفْتَ أنَّ مدارَ أمرِ (النَّظْم) على مَعاني النحو ، وعلى الوجُوهِ والفُروق التي من شأْنها أَنْ تكونَ فيه ؛ فاعلمْ أنَّ الفروقَ والوجوهَ كثيرةٌ ليسَ لها غايةٌ تقفُ عندها ، ونهايةٌ لا تَجِدُ لها ازديادًا بَعْدها ، ثُمَّ اعْلَمْ أنْ ليستِ المَزِيَّةُ بواجبةٍ لها في أنْفُسِها ، ومِنْ حيثُ هي على الإطلاق ، ولكنْ تَعْرِضُ بسببِ المعاني والأغراضِ التي يُوضعُ لها الكلامُ ، ثم بحَسَبِ موقعِ بعضِها من بعضٍ ، واستعمالِ بعضِها معَ بعضٍ » [7] .

وفي الاصطلاح : « الصُّورَة الذِّهْنِيَّة ؛ حيث وُضع بإزائها الألفاظ والصُّوَر الحاصلة في العقل » [8] ؛ فهي شاخصة إلى الأفكار التي يُعَبَّر عنها بالألفاظ التي تكون في النفس والعقل .

ويتعلق بناء المعاني بدراسة العلاقات بين المعاني المُكَوِّنَة للسُّورَة القُرْآنيَّة ، وكيف تَرَتَّبَ بَعْضُها على بَعْض , وكيف اتَّصَل الثاني منها بالأول ، والأول بما قبله , وكذلك ارتباط المقطع بسياق السورة ، والسورة بما قبلها وما بعدها ؛ للوصول إلى المقصد الرئيس للسورة الكريمة .

يقوم بناء المعاني على ترتيب موضوعات السورة في نَسَقٍ واحد ، ومن منظورٍ واحد ، « إنَّ ارتباطَ آي القرآن بعضها ببعض ؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني ، عِلْمٌ عظيم » [9] ، تظهر أهميته عند النظر إلى السورة القرآنية بوصفها بناءً متكاملاً , يتكون من أجزاء ترتبط مع بعضها في تَتَابُعٍ تَامّ ، يتميز بوحدة المقاصد والأهداف .

---

(6) انظر : المصدر السابق ، بَابُ (العَيْنِ وَالنُّونِ وَمَا يَثْلِثُهُمَا) ، 146/4 ، 148 - 149 .

(7) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 87 .

(8) انظر : الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، تحقيق ودراسة محمد صِدِّيق المنشاوي , دار الفضيلة , القاهرة ، 2004م ، ص 184 – 185 .

(9) بَدْرُ الدِّينِ الزَّرْكَشِيّ : البُرْهَان فِي عُلُومِ القُرْآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط1 ، 1376 هـ - 1957 م ، 36/1 .

إنه البحث عن كيفية بناء الكلمات والجُمل المُكَوِّنَة للآيات من مطلعها إلى خاتمتها , ومراعاة التشابكات والامتدادات بينها ؛ حيثُ تُرْبَطُ كُلُّ كلمة بما قبلها وما بعدها ، وذلك يستدعي النظر إلى السُّورَة القرآنية بوصفها بناءً متكاملَ الأركان والأجزاء ؛ حتى نتوقف على إعجازها ، ومعرفة مقاصدها ، وعَلاقاتها البارزة ؛ لأنه لا بُدَّ لهذا البناء مِنْ مَقْصِدٍ وغَاية .

ثَانِيًا : مَدْخَلٌ إِلَى سُورَةِ المُجَادَلَةِ :

سُورَةِ المُجَادَلَةِ هي السورة الثامنة والخمسون من القرآن الكريم ، وتتكون من ألف وسبعمائة واثنين وتسعين حرفًا ، وتَضُمُّ أربعمائة وثلاث وسبعين كلمة ، واثنتين وعشرين آية [10] ، وقد ذُكِرَ لَفْظُ الجَلالة فِي كُلِّ آية مِنَ السُّورَة ، وقد نُزِلَتْ بعد سورة (المنافقون) ، وقبل سورة (التحريم) .

وتناولت أحكامًا تشريعيَّة كثيرة ، كأحكام الظِّهَار ، والكَفَّارَة التي تجب على المُظَاهِر ، وحُكْم التَّنَاجِي ، وآداب المَجَالِس ، وتقديم الصدقة عند مناجاة الرسول (ρ) ، وعدم مَوَدَّة أعداء الله ، كما تَحَدَّثَتْ عن المُنَافِقِينَ واليهود [11] .

وسُورَة المُجَادَلَة مَدَنِيَّة ؛ وذلك لِمَا رُوِيَ في أسباب النزول عن خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَة (رَضِيَ اللهُ عنها) قالت : وَاللَّهِ فِيَّ وَفِي أَوْسِ بْنِ الصَامِتِ أنزل اللهُ (عَزَّ وجل) صدر سُورَة المُجَادَلة [12] .

وغيرُ خافٍ أَنَّ معرفةَ أسبابِ نُزُولِ القرآن الكريم لها أهميةٌ بالغة ؛ حيثُ تُعِينُ عَلَى فَهْم النصّ القُرْآنِي فَهْمًا صحيحًا , وتَرْبُطُ الأحكامَ بِالحَوَادِث والأشخاص , وتُبَيِّنُ وَجْهَ

---

(10) عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1970م ، الكتاب الرابع عشر, ص807 .

(11) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط4 ، 1981م ، 333/3 .

(12) انظر : أبو داود السِّجِسْتَانِيّ : سُنَن أَبِي دَاود ، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي , دار الكتب العِلْمِيَّة , بيروت ، لبنان , ط1 ، 1416هـ - 1996م ، كتاب (الطلاق) , باب (الظِّهَار) , حديث رقم (2314) , 132/2 .

الحكمة الباعثة على تشريع الأحكام الواردة في الآيات , ولَنْ يُفْهَمَ ذلك دُونَ الوُقُوفِ على قِصَّتِهَا ، وبيان سَبَب نُزُولِهَا [13] .

أ) اسْمُ السُّورَةِ :

السُّورَة : كُلُّ مَنْزِلَةٍ مِنَ البِنَاءِ ؛ وَمِنْهُ سُورَةُ القُرْآنِ لأَنها منزلةٌ بَعْدَ مَنْزِلَةٍ ؛ وسُمِّيَتْ بذلك لأنها دَرَجَةٌ إلى غيرها [14] .

وسورة **المُجَادلة** : بِفَتْحِ الدَّالِ وكَسْرِهَا , والكسر أظهر على وزن اسم الفاعل ؛ لأن السورة أُفْتُتِحَتْ بِذِكْرِ أحوال المرأة التي جادلت النبي (ρ) في زوجها ؛ فَتَسْمِيَتُهَا بصاحبة الجِدَال أولى[15] ، وقد اشتهر تسميتها بالفتح (المُجَادَلَة) في المصاحف وكُتُب التفسير والسُّنَّة [16] .

قَدْ سَمِعَ : ذَكر هذا الاسم الأَلُوسِيّ (ت1270هـ) في تفسيره [17] , وذكره أيضًا محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ) في (التحرير والتنوير) ؛ فقال : « وَهَذَا الاسْمُ مُشْتَهِرٌ فِي الكَتَاتِيبِ فِي تُونُسَ » [18] , وإنْ صَحَّتْ هَذِه التَّسْمِيَة ؛ فَوَجْهُ تسمية السورة به أنَّها أُفْتُتِحَتْ بهذا اللفظ : { قَدْ سَمِعَ } .

---

(13) الوَاحِدِي : أسباب النزول ، تخريج وتدقيق عصام بن عبد المحسن الحُمَيدَان , دار الإصلاح , الدَّمَّام ، المملكة العربية السعودية , ط2 , 1412هـ - 1992م ، ص 8 .

(14) ابن منظور: لسان العرب ، مادة (س و ر) ، 2147/24 .

(15) انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير (تَحْرِير المَعْنَى السَّدِيد ، وتَنْوِير العَقْل الجَدِيد من تفسير الكتاب المجيد) ، الدار التونسية للنشر , تونس , 1984م ، 5/28 .

(16) انظر : بشرى عبد الرحمن الزومان : علاقة اسم السورة بمقاصدها ؛ جُزْء المُجَادَلَة نَمُوذجًا ، مجلة الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، المجلد (37) ، العدد (11) ، يناير 2018م ، ص 6579 .

(17) انظر : الأَلُوسِيّ : رُوح المَعَانِي في تَفْسِير القُرْآنِ العَظِيم والسَّبْعِ المَثَانِي ، تحقيق علي عبد الباري عَطِيَّة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1415هـ - 1995م ، 197/14 .

(18) انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 5/28 .

الظِّهَار : ذَكَرَ السِّيُوطِيّ (ت911هـ) أنها في مُصْحَف أُبَيّ بن كَعْب (ت21هـ) تُسَمَّى بسورة الظِّهَار [19] ؛ وذلك لِمَا ذُكِرَ فيها من أحكام الظِّهَار .

وهذانِ الاسمانِ (قد سَمِع – الظِّهَار) اجتهاديانِ من الصَّحَابَةِ والعُلَمَاء , ولم يُرِدْ فيهما عن رسول الله (ρ) نصٌ صريحٌ بذلك [20] ، ولا شك في ارتباط هذينِ الاسمينِ ارتباطًا وثيقًا بموضوعها ؛ حيث سماع الله تعالى للمُجَادِلَة , وتشريعه تعالى للأحكام الشرعيَّة التي تُصْلِح أحوال الخَلْق ، ومنها الظِّهَار .

ب) مَقَاصِدُ السُّورَةِ :

المقاصد : من قَصَدَ ، ومنها القَصْد ، وهو استقامة الطريق , والقَصْد : خلاف الإفراط ، وهو ما بين الإسراف والتقتير [21] .

ومقاصد السورة هي ما اُسْتُخْلِصَ من جُمْلَةِ مَعَانيها وَأَحْكَامِهَا ، أو – بعبارة أخرى – العلل والغايات التي من أجلها نزل القرآن على النبي (ρ) [22] .

إنَّ بناء العقيدة الإسلامية من أهم مقاصد القرآن الكريم ، ومقاصد القرآن الكريم أصل مقاصد الشريعة ومصدرها الأول ؛ فالتشريع مقصد من مقاصد نزول القرآن الكريم , وغاية ذلك : تقرير عبودية الله تعالى ، وتحقيق مصلحة الإنسان في الدارينِ [23] .

---

(19) انظر : السِّيُوطِيّ : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق شُعَيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ناشرون , دمشق , سوريا , ط 1 , 1429هـ - 2008م , 124/2.

(20) انظر : مُنِيرة محمد ناصر الدوسري : أسماء سور القرآن وفضائلها ، دار ابن الجوزي , الدَّمَّام , المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1426هـ - 2005م ، ص 427 .

(21) انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ق ص د) ، 3642/40 .

(22) انظر : أحمد الريسوني : مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة , الشبكة العلمية للأبحاث والنشر , بيروت ، لبنان , ط1 , 2013م , ص 27 .

(23) انظر : عبد الله عثمان علي المنصوري : المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال : أيسر التفاسير لكلام العلي القدير لأبي بكر الجزائري , مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية , اليمن ، العدد (10) ، 2013م ، ص 141 .

وقد تتمحور هذه المقاصد ما بين مقاصد إيمانية , ومقاصد أخلاقية وسلوكية , ومقاصد اجتماعية , ومقاصد تشريعية , ومقاصد إعجازية , ومقاصد سياسية , ومقاصد علمية [24] .

لا شَكَّ في أن القرآن الكريم نزل ليكون مَنْهَجًا للحياة العامَّة , ودستورًا للحياة البشرية ؛ حَتَّى يَرِثَ اللهُ تعالى الأرض ومَن عليها ؛ ففيه فلاح الناس في الدنيا , ونجاتهم يوم القيامة .

وجاء في مقاصد الجزء الثامن والعشرين من القرآن الكريم أنه ينص على تربية الفرد والجماعة ، وعلى الوَلاء للإسلام وأهله ، والبَرَاء مِنَ الكُفْرِ وأهله [25] .

والمقصد الرئيس في سورة المجادلة هو بَيَان ما يجبُ أَنْ يَتَّصِفَ به المسلمُ الحقّ , وتصحيح عقيدته وعلاقاته في أموره المختلفة فردية كانت أو جماعية , وذلك من خلال وقائع وأحداث وآداب أُخذت من واقع المجتمع الإسلامي .

ومِمَّا هُوَ مَعْلُوم أَنَّ لِكُلِّ سُورَةٍ من سُوَر القرآن غَرَضًا خَاصًّا نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، كما أن لكل سُورة مَوضوعات تصل من خلالها إلى تحقيق أهدافها وأغراضها .

وسورةُ المُجَادلة تَهْتَمُّ بشأن الفرد والمجتمع ، وتُحَلِّلُ قَضَايَاهُ ، وَتَضَعُ له الضَّوَابط ؛ لتكوين شخصيَّة مُسْلِمة سَوِيَّة .

ونَلْمَحُ مُنْذُ بداية السورة : {قَدْ سَمِعَ} سَعَةَ علمِ الله تعالى وقدرته ، وكذلك التركيز على البُعْد الأخلاقيّ لدور المرأة , وبيان أدب الخِلاف ، وكيفية إدارة الأزمة , والحث على الارتباط بالله تعالى ظاهرًا وباطنًا , وذلك لأنَّ الحقوقَ لا تُؤْخَذُ بِالصِّرَاع ، وإنما بالأدلة والبراهين ؛ فالمُسْلِم الحقّ يُفَوِّضُ أَمْرَهُ إلى الله تعالى .

ومن الآية الثانية إلى الرابعة نجد قَضِيَّة الظِّهَار , وحُكْمها , وكَفَّارتها ؛ فَقَدَ فَصَّلَتِ السورةُ الكريمةُ القولَ في تِلْك الظاهرة ؛ حيثُ وَرَدَ حُكْم الظِّهَار فيها دون غيرها من السُّوَر , فقد نزلت تلك الآيات قبل آية سورة الأحزاب , حيث قول الله تعالى: {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ}[26] , فيقول ابن عاشور(ت1393هـ): « وذلك يقتضي أن

---

(24) انظر : عبد الله عثمان علي المنصوري : المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع ، ص 144 .

(25) انظر : عبد الله عثمان علي المنصوري : المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع ، ص 151 .

[26] سورة الأحزاب : الآية 4 .

تكون نزلت بعد إبطال حكم الظهار بما في سورة المجادلة , لأن قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ﴾ يقتضي إبطال التحريم بالمظاهرة , وإنما بطل بآية المجادلة »[27]

عالجت تلك الآيات المَدَنِيَّة بعض أمراض المجتمع , فأُفْتُتِحَتِ السورةُ بالقضاء على ظاهرة سادت في العصر الجاهلي ، وهي : الظِّهار ، وتَحَقَّقَ ذلك بسماعِ الله تعالى لتلك المرأة التي تُجَادِلُهُ (ρ) ، وتُعَانِي من تلك العادة المذمومة ؛ فأنزل فيها قُرْآنًا يُقَرِّر الحُكْم في تلك القَضِيَّة .

قال تعالى : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [28] .

نزلت هذه الآية الكريمة في خويلة بنت ثَعْلَبَة الخزرجيَّة , وزوجها أوس بن الصامت [29] ؛ فقد وَرَدَ عن أُمِّ المُؤْمِنِينَ عائشة – رَضِيَ اللهُ تعالى عنها – أنها قالت : « الحَمْدُ لِلهِ الذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوات , لقد جاءت المجادِلة إلى النبي (ρ) تُكَلِّمُهُ وأنا في ناحية البيت , ما أسمع ما تقول ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلّ :{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } » [30] .

وكذلك حديث سَلَمَة بْن صَخْر الأنصاريّ (τ) قال : كُنْتُ امْرَأً أُصِيبُ من النساء ما لا يُصِيبُ غيري ؛ فَلَمَّا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضان خِفْتُ أن أُصيبَ مِنْ امرأتي شيئًا يُتَابَعُ بي حَتَّى أُصْبِحَ ؛ فَظَاهَرْتُ منها حَتَّى يَنْسَلِخَ شهر رمضان ؛ فَبَينَا هي تَخْدُمُنِي ذات ليلة ؛ إذ تَكَشَّفَ لي منها شيء ؛ فلم أَلْبَثْ أن نَزَوتُ عليها ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ خَرَجْتُ إِلَى قَومي ؛ فأخبرتهم الخَبَر ، وقُلْتُ : امْشُوا مَعِي إلى رَسُولِ الله (ρ) ، قالوا : لا والله . فانطلقت إلى النبي (ρ) فأخبرته ؛ فقال : (أنت بِذَاكَ يا سلمة؟) ، قُلْتُ : أنا بذاك يا رسول الله – مَرَّتَينِ

---

[27] محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 6/28 .

(28) سورة المجادلة : الآية 1 .

(29) انظر : فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيّ : تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1420هـ - 1999م ، 477/29 .

(30) محمد ناصر الدين الألباني : صحيح سُنَن النَّسَائِي , مكتبة المعارف للنشر والتوزيع , الرياض , ط 1, 1419هـ - 1998م ، كتاب (الطلاق) , باب (الظِّهَار) , حديث رقم (3460) ، 488/2 .

– وأنا صابرٌ لأَمْرِ اللهِ ؛ فَاحْكُمْ فيَّ مَا أَرَاكَ الله . قال : (حَرِّرْ رَقَبَة) ، قُلْتُ : (وَالذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أَمْلِكُ رَقَبَةً غَيرَها ، وَضَرَبْتُ صَفْحَةَ رَقَبَتِي) ، قال : (فَصُمْ شَهْرَينِ مُتَتَابِعَينِ) ، قال : (وَهَلْ أَصَبْتُ الذِي أَصَبْتُ إِلاَّ مِنَ الصِّيَامِ ؟) ، قَالَ : (فَأَطْعِمْ وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ بَينَ سِتِّينَ مِسْكينًا) ، قُلْتُ : (وَالذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَقَدْ بِتْنَا وَحْشَينِ مَا لَنَا طَعَامٌ) ، قال : (فَانْطَلِقْ إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيكَ ؛ فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَسْقًا مِنْ تَمْر ، وَكُلْ أَنْتَ وَعِيَالُكَ بَقِيَّتَهَا) ؛ فَرَجَعْتُ إِلَى قَومِي ؛ فَقُلْتُ : وَجَدْتُ عِنْدَكُم الضِّيقَ ، وَسُوءَ الرَّأْي ، وَوَجَدْتُ عِنْدَ النبيّ (ρ) السَّعَةَ ، وَحُسْنَ الرَّأْي ، وَقَدْ أَمَرَنِي – أَو أَمَرَ لِي– بِصَدَقَتِكُمْ [31] .

نجد براعة الاستهلال في قول الله تعالى في بداية الآيات : {قَدْ سَمِعَ} ، ولا تدخل (قد) إلا على الأفعال , ودخولها على الفعل الماضي يفيد التحقيق والتوكيد ؛ حيث تُفِيدُ (قد) تَوَقُّع الحُدُوث , أَي الإِشْعَارِ بِحُصُولِ مَا يَتَوَقَّعُهُ السَّامِعُ [32] ؛ وذلك لأَنَّ النبيَّ (ρ) , والمُجَادِلة كانا يتوقعان سَمَاعَ الله (عَزَّ وجل) لهما ، وإنزاله في ذلك حُكْمًا [33] .

وعَبَّرَ اللهُ تَعَالى بِالسَّمْعِ دُونَ الاسْتِمَاع ؛ لِكَون السَّمَعِ يَكُونُ مِنْ غَيرِ طَلَبٍ , أَمَّا الاستماعُ فَيَكُونَ بطلب [34] .

ويُفِيدُ السَّمْعُ – أيضًا – القُرْبَ , وإدراك الله تعالى للمسموعات على ما هي عليه دون دخول صوت على صوت , والسمع صفة ثابتة لله (عز وجل) .

ولفظة (قول) لَتَدُلَّ على أن الله تعالى سَمِعَ على الحقيقة دون تَخْييل : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [35] .

---

(31) التِّرْمِذِيّ : سُنَن التِّرْمِذِيّ ، وهو الجَامِعُ الكَبِيرُ ، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات , دار التأصيل , القاهرة , ط1 , 1435هـ - 2014م , أبواب تفسير القرآن عن رسول الله (ρ) , حديث (3573) , 377/4 .

(32) انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 8/28 .

(33) الزَّمَخْشَرِيّ : تَفْسِيرُ الكَشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعُيُونِ الأقاويل في وُجُوهِ التأويل , اعْتَنَى به وخَرَّجَ أحاديثه وعَلَّقَ عليه خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة , بيروت ، لبنان ، ط3 , 1430هـ - 2009م ، ص 1086 .

(34) عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن ، الكتاب الرابع عشر, ص 813 .

وأيضًا السَّمْع هنا بمعنى الإجابة والقَبُول [36] , وكذلك الفصل في الحِوَار [37] , كما في قول الله (عَزَّ وجَلّ) : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [38] , وقوله تعالى : {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} [39] ؛ فَسَمْع اللهِ تعالى لا يقتصر على بيان عِلْمِه بِحَالِ تِلْك المرأة ، بل أيضًا إجابة دعوتها ، وتفريج كربها وهَمِّها .

ففي إسناد السَّمَع إلى الله تعالى ما يُشِيرُ إلى عِنَاية الله تعالى بهذه القضيَّة ، ويُصَوِّرُ شِدَّة تَوَكُّل المرأة على الله , ويُؤَكِّد أن الجزاء من جِنْس العَمَل ؛ فَإِنَّ اللهُ تعالى خَفَّفَ عَنْ هذه المرأة لحُسْنِ ظَنِّهَا بالله سبحانه وتعالى .

وجاء الفعل (تُجَادِلُكَ) بعدهما للدلالة على شِدَّة المُرَاجعة ؛ فالفعل (تُجَادِلُ) من الجَدَلِ ، بمعنى الخُصُومَة والقُدْرَة عَلَيها , وجَادَلَه ، أي خَاصَمَهُ [40] .

وهو هنا يَدُلُّ على مُرَاجَعة الكَلام وشِدَّة الخُصُومة ؛ حيثُ إنها تتكلم ، ورسول الله (ρ) يَرُدُّ عليها , يقول ابن فَارِس (ت395هـ) في بيان معنى الجدل : « وَهُوَ مِنْ بَابِ اسْتِحْكَامِ الشَّيْءِ فِي اسْتِرْسَالٍ يَكُونُ فِيهِ ، وَامْتِدَادِ الخُصُومَةِ وَمُرَاجَعَةِ الكَلامِ » [41] .

فالجِدَال مُفَاعَلة بين طَرَفَينِ أو أكثر , يقول البَغَوِيّ (ت510هـ) : أي « تُجَادِلك وتُحَاورك وتُرَاجعك في زوجها » [42] .

---

(35) سورة الشورى : الآية 11 .

(36) انظر : أحمد مصطفى المَرَاغي : تفسير المَرَاغِي , مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي , القاهرة , ط1 , 1365هـ - 1946م ، 4/28 .

(37) عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن ، الكتاب الرابع عشر, ص 813 .

(38) سورة البقرة : الآية 186 .

(39) سورة النمل : الآية 62 .

(40) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ج د ل) ، 571/7 .

(41) انظر : ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، بَابُ (الجِيمِ وَالدَّالِ وَمَا يَثْلِثُهُمَا) ، 433/1 .

وفي قوله تعالى : {فِي زَوْجِهَا} ، الضمير (ها) المضاف إلى الزوج يَدُلُّ على بُطْلانِ عَادة الظِّهَار , وأن تلك المرأة ليسَتْ مُحَرَّمة عَلَيهِ حُرْمَة أَبَدِيَّة , وأنها ما زالت زوجته [43] .

وفي قوله تعالى : {وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} ، أي : تشتكي حالها إلى الله تعالى ، الذي يُفَرِّجُ كَرْبَها ، ويُنْزِلُ فيها حُكْمًا ؛ فالشكوى اسم من الاشْتِكَاء ، بمعنى : إظهارُ مَا بِكَ مِنْ مَكْرُوهٍ أو مَرَضٍ أو نحوه [44] .

ولكنّ الشكوى هنا ليست مقصورة على معناها اللُّغَوِيّ المعروف ؛ بل تَدُلُّ على التضرُّع لله ؛ لِيَكْشِفَ هَمَّهَا ، وما مَسَّها مِنْ ضَرَرٍ ، وفي إظهار لفظ الجلالة ما يدل على قَصْر شكوى تلك المرأة عليه سبحانه وتعالى .

وفي قوله تعالى : {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} ، الواو حاليَّة [45] , أي : والحال أن الله يسمع كلامكما ومراجعتكما ، وجاء الفعل بصيغة المضارع ؛ للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاوُر وتَجَدُّدِهِ [46] .

وجاء النظم القرآنيّ بالفعل (يسمع) ، وليس (يعلم) ؛ لأنَّ السماعَ يُفِيدُ القرب من المُتَكَلِّم , والعِلْم لا يُوحِي بذلك , وَفِي صيغة المضارع ما يفيد التجدد والاستمرار في السماع , ولاستحضار حالة سماع الله (سبحانه وتعالى) لتحاورهما , فتلك الجملة في موضع الحال من الضمير في الفعل (تُجَادِلُكَ) .

---

(42) انظر : البَغَوِيّ : تَفْسِيرُ البَغَوِيّ ؛ مَعَالِم التَّنْزِيل ، حَقَّقَهُ وخَرَّج أَحَادِيثَه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميريَّة ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة ، الرياض ، 1412هـ - 1992م ، 50/8 .

(43) عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن ، الكتاب الرابع عشر , ص 812 .

(44) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ش ك ا) ، 2313/26 .

(45) محيي الدين الدرويش : إعراب القرآن الكريم وبَيَانُهُ ، دار اليمامة ، دمشق ، بيروت ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط7 ، 1420هـ - 1999م ، 444/7.

(46) انظر : أبو السُّعُود العِمَادِيّ: تفسير أبي السعود ؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د . ت ، 215/8 .

ثُمَّ تأتي نهاية الآية : {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} – كما يقول السَّعْدِيّ (ت1376هـ) – : « إخبارٌ عن كَمَالِ سَمْعِهِ وبَصَرِهِ ، وإحاطتهما بالأُمُورِ الدقيقة والجَلِيَّة , وفي ذلك الإشارة إلى أن الله تعالى سيزيلُ شَكْوَاها ، ويَرْفَعُ بَلْوَاها ؛ ولذلك ذكر حُكْمِهَا ، وحُكْمِ غَيرِهَا » [47] .

وقال محمد الطاهر بن عاشور (1393هـ) : إنها تذييل لجملة : (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) [48] ؛ لتوكيد عِلْم الله تعالى وقدرته ، كما في قوله تعالى : { قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } [49] ؛ فتفيد تأكيد أنَّ سَمْعَ اللهِ تعالى وَبَصره مُسْتَمِرٌّ لا يَتَوَقَّفُ .

ومن الملاحظ التعبير بصيغة فَعِيل (سميع بصير) ، أي سميعٌ بِمَنْ يُنَاجِيه ويتضرع إِليه ، بصيرٌ بأعمال العباد ، وكلاهما من ضِيَع المُبَالغة ، أي مُبَالِغ فِي العِلْم بالمسموعات والمُبْصِرَات [50] ؛ وللدلالة على إحاطته (عَزَّ وجل) بكل شيء في الوجود ؛ وللدلالة على التكرار والمداومة على الفعل .

قَدَّمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ السمع على البصر ؛ ليؤكد تَنَاسُق المَعَانِي ، وتَعَانُقها ، وتَرْتِيب بَعْضُهَا عَلَى بَعْض ؛ حيث بَدأت الآية بالسمع ، وخُتمت بالسمع ، والمقام يتعلق بالسمع , وذُكِرَ البصرُ معه ؛ فهو تعالى يَسْمَعُ ما دار من الحوار , ويُبْصِرُ المُتَحَاوِرِينَ , وغيرهما ، وهو القائل : {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخفَىٰ عَلَيهِ شَيء فِي ٱلأَرضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ} [51] ؛ فسبحانه وتعالى :{ يَعلَمُ خَائِنَةَ ٱلأَعيُنِ وَمَا تُخفِي ٱلصُّدُورُ} [52] ؛ فالله تعالى يَسْمَعُ الصوتَ الدقيق الخافت والجليّ , فينبغي ألا يتكلمَ الإنسانُ إلا بما يعلم أنه سينفعه ويرفعه عند الله .

---

(47) انظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق عبد الرحمن بن مُعَلاَّ اللُّوَيحِق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت , ط1 , 1423هـ - 2002م ، ص 844 .

(48) انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 9/28 .

(49) سورة طه : الآية 46 .

(50) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، 316/3 .

(51) سورة آل عمران : الآية 5 .

(52) سورة غافر : الآية 19 .

فالخاتمة جاءت تعليلاً لِمُفْتَتَح الآية ؛ فقد وردت مادة (سَمِعَ) في الآية ثلاث مرات ، الأولى بصيغة الماضي لتفيد التحقيق ، والثانية بلفظ المضارع لتفيد التجدد والاستمرار , وجاءت الثالثة صيغة مبالغة ؛ فالله تعالى سَمِعَ ما كَانَ ، وهو يَسْمَعُ مَا يَكُون ؛ لأنه تعالى هو السَّمِيع .

وغيرُ خَافٍ أنَّ سببَ نُزُولِ سُورة المُجَادَلة المُظَاهَرة ؛ لذا نجد في الآية الثانية حُكْم الظِّهَار ، وتَفْصِيل القول في كَفَّارَتِهِ , ويُستفادُ من هذه الآية أنَّ مَنْ قُطِعَ رجاؤه ، وتَعَلَّقَ بالله – تبارك وتعالى – سوف يأتيه من ألطاف الله (عز وجل) ما يُزِيلُ هَمَّهُ , وصدق الله تعالى وهو القائل : {وَرَحمَتِي وَسِعَت كُلَّ شَيء} [53] .

وبعد أَنْ أَخْبَرَ اللهُ (عَزَّ وجَلَّ) عن إحاطة سَمْعِهِ ، وعِلْمِهِ بِكُلِّ شَيءٍ ، وقُرْبه مِنْ عِبَادِهِ ، ورحمته تعالى بهم , ورأفته بحالهم , وإجابته دعائهم ، وتأكيد ذلك بدخول (إنَّ) على الجملة الاسميَّة ، استأنف تعالى توضيح الأمر المُجَادَل بسببه ؛ فجاءت الآية بعدها لِتُبَيِّنَ ماهية الظِّهَار ، وتُوَضِّحُ الفَرق بين الزوجة والأُمّ ، وتُؤَكِّد قُبْحَ الظِّهار ؛ لِتَكُونَ بمنزلة البَيَان لجملة {قَدْ سَمِعَ}؛ لأنَّ في الآية مخرجًا مِمَّا لَحِقَ المُجَادِلة من ضُرٍّ بِظِهَارِ زوجها لها ؛ لتُخْتَتَم الآية بِأَنَّ عَفْوَ اللهِ أكبر ، ويجيء الحُكْمُ بِتَحْرِيم الظِّهَار بعد نزول تلك الآية .

قال تعالى : { الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ } [54] .

انتقل السياقُ القُرْآنِيّ هنا للحديث عن حُكْم الظِّهَار ، الذي يقع فيه كثيرٌ من الناس ؛ لِيُحَذِّرَهُمْ منه ؛ كي يضعوا الأمورَ في نِصابها الصحيح ؛ فالأُمّ أُمّ , والزوجة زوجة ، ولِكُلٍّ مِنْهُمَا واجباتٌ وحُقُوق .

وقد نزلت جُمْلَةُ : { الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ} ، وَمَا يُتِمُّ أَحْكَامَهَا ، مَنْزِلَةَ البَيَانِ لِجُمْلَةِ : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ } ، التي تُثِيرُ سُؤَالاً فِي النَّفْسِ مُفَادُهُ : فَمَاذَا

(53) سورة الأعراف : الآية 156 .

(54) سورة المجادلة : الآية 2 .

نَشَأَ عَنِ اسْتِجَابَةِ اللَّهِ لِشَكْوَى المُجَادِلَةِ ؟ ؛ فيكون الجواب : المَخْرَجُ لَهَا مِمَّا أصابها من ضَرَر [55] .

وجاء الحال : {مِنْكُمْ} ، أي : حال كونهم منكم أيُّهَا العرب ، ولا يخفى ما في هذه الحال من التهجين لعاداتهم ، والتوبيخ لهم [56] ؛ لأنَّ ذلك كان من أَيمانِ الجاهلية خاصةً دون سائر الأُمَم [57] .

وَضَّحَتِ الآيةُ مَاهِية (الظِّهَار) ، وهو قول الرجل لامرأته : (أنتِ عَلَيَّ كظهرِ أُمِّي) ؛ فهنا شَرَعَ اللهُ تعالى في بيان معنى (الظِّهَار) ، وحُكْمه المُتَرَتِّب عليه , و(الظِّهار) مصدر (ظَاهَر) ، وهو مُفَاعَلة من (الظَّهْر) ، ويُرَادُ به معانٍ مختلفة [58] .

لأَنَّ (الظَّهْرَ) موضعُ الرُّكُوبِ ، والمرأَةُ مركوبةٌ إِذا غُشِيَت ؛ فكأَنه إِذا قَالَ : (أَنتِ عَلَيَّ كظَهْر أُمِّي) ، أَراد : رُكوبُكِ لِلنِّكَاحِ عَلَيَّ حَرَامٌ كَرُكُوبِ أُمِّي لِلنِّكَاحِ ؛ فأَقام الظَّهْرَ مُقامَ الرُّكُوبِ ؛ لأَنَّهُ مَرْكُوبٌ ، وأَقام الرُّكُوبَ مُقام النِّكَاحِ ؛ لأَن النَّاكِحَ رَاكِبٌ ، وَهَذَا مِنْ لَطِيف الاسْتِعَارَاتِ لِلكِنَايَةِ [59] .

وقال فخر الدين الرَّازِي (ت606هـ) : إن (الظَّهْرَ) هنا ليس المقصود به ذلك الجزء من الجسد ، بل مأخوذ من العُلُوّ ؛ لقوله تعالى : {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ} [60] ، أَي : يَعْلُوهُ ، وَكُلُّ مَنْ عَلا شَيئًا فَقَدْ ظَهَرَهُ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ المَرْكُوبُ ظَهْرًا ؛ لأَنَّ رَاكِبَهُ يَعْلُوهُ ،

---

(55) انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 10/28 .

(56) محيي الدين الدرويش : إعراب القرآن الكريم وبَيَانُهُ ، 444/7.

(57) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، 316/3 .

(58) انظر : الأَلُوسِيّ : رُوح المَعَانِي في تَفْسِير القُرْآنِ العَظِيم والسَّبْعِ المَثَانِي ، 199/14 .

(59) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ظ هـ ر) ، 2770/31 .

(60) سورة الكهف : الآية 97 .

وَكَذَلِكَ امْرَأَةُ الرَّجُلِ ظَهْرُهُ ؛ لأَنَّهُ يَعْلُوهَا بِمِلْكِ البُضْعِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَاحِيَةِ الظَّهْرِ ؛ فَكَأَنَّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ مَرْكَبٌ لِلرَّجُلِ وَظَهْرٌ لَهُ [61] .

وهي من جميل الاستعارات المَكْنِيَّة ؛ حيثُ شَبَّهَ الزوجة حين يَقْرَبُها زوجها بالراحلة ، وهي المُشَبَّه به , ثُمَّ ذَكَرَ المُشَبَّه وهي الزوجة ، وحَذَفَ المُشَبَّه به وهي الدابة ، وتَرَكَ شيئًا من لوازمها ، أو صفة من صفاتها ، وهي الركوب على ظهرها ، كناية عن حال من أحوال الجماع بين الأزواج .

وحَرَّمت الآية تلك العادة عن طريق إثبات أن الأمومة للأم التي ولدته من رَحِمَهَا ، وشَتَّان ما بين الأُمّ والزوجة ؛ فالزوجة لا تصير بمنزلة الأم مهما حدث .

ونلمح هنا بلاغة النظم القرآنيّ ؛ فقد بَنَى اللهُ تعالى الكلامَ على نَفْي أنْ تُصْبِحَ المرأةُ المُظَاهِرُ منها زوجَها أُمًّا له , ثُمَّ أَثْبَتَ اللهُ تعالى الأمومة للمرأة التي أنجبت دون غيرها .

جاءت جملة {إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ} تعليلاً لقوله تعالى {مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ} ، وجاءت بعدها جملة : { وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا} توكيدًا ثانيًا لجملة :{ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ} [62] ؛ لِتُوَبِّخَ مَنْ يساوي الزوجة بالأُمّ ، أي : والحال إِنَّ هؤلاء المُظَاهِرِينَ لَيَقُولُونَ كلامًا مُنْكَرًا تُنْكِرُهُ الحقيقة ويُنْكِرُهُ الشرع ، وهو كذبٌ وزورٌ وبُهْتَان [63] .

والزُّورُ هو الكَذِب وقَول البَاطِل ؛ فوصف الله هذا القول بالمنكر والزور , ثُمَّ ختم الآية بإثبات العفو والمغفرة من الله (عز وجل) ، ولا يكون العفو والمغفرة إلا على ذَنْبٍ اقترفه الإنسانُ [64] .

وَتَأْكِيدُ الْخَبَرِ بـ(إِنَّ) واللام المزحلقة فِي قَولِهِ تَعَالَى : { وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} لِمُشَاكَلَةِ تَأْكِيدِ مُقَابِلِهِ فِي قَولِهِ تَعَالَى : { وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا} [65] .

---

(61) انظر : فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيّ : تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، 478/29 .

(62) انظر : عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن ، الكتاب الرابع عشر, ص 814 .

(63) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، 316/3 .

(64) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

ولا يخفى ما في الجملتين من « مقابلة شيئينِ ، وهُمَا : مُنْكَرًا وزُورًا ، بِشَيئينِ هُمَا : عَفُوّ وغَفُور » [66] .

وقَولِهِ تَعَالَى : { وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} : يؤكد أنَّ اللهَ تعالى واسعُ المَغْفِرَةِ لِمَنْ تَابَ وندم وأقلع عن الذنب ؛ فهو أسلوب تربويٌ قَوِيم للترغيب في سرعة التوبة .

ووَصَفَ اللهُ (عَزَّ وجَلَّ) نفسه بالعَفُوّ قبل الغفور ؛ لأنَّ العفوَ عدم المؤاخذة بالفعل ؛ فقد عفا عن قولهم لأنه تعالى غفور ، أي : كثير الغُفْرَان , { وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ } [67] .

ونلمح في تلك الخاتمة أسلوب الترغيب ثِقَةً بِرَحْمَةِ اللهِ تعالى ؛ فهو القائل : {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [68] .

وفيها حَثٌّ للخلق على التَّسَامُح والمغفرة ؛ فاللهُ تَعَالى مع كَمَالِ قُدْرَتِهِ يَعْفُو عن المُذْنِبِينَ , وفي مشروعية الكفارات ؛ رحمةً بالمسلمين ومراعاةً لمصالحهم ؛ فهي لا تخلو من تحقيق مصالحٍ لهم ، أو دَرْءَ مَكْرُوهٍ عنهم .

ويُسْتَفَادُ مِنْ تلك الآية أنها بعدما وَضَّحَت استجابة الله تعالى للمرأة الفقيرة أَكَّدَتْ أَنَّ ما يقوله الرجل لزوجته مُظَاهِرًا غير جائز شرعًا ؛ لأنَّ نساءهم ليسوا أمهاتهم ؛ فَهَؤُلاء المُظَاهِرُونَ كاذبون فِيمَا يَدَّعُون ؛ فهو مُنكرٌ تَعِفُّهُ النفوسُ الزَّكِيةُ .

ويختم اللهُ تعالى الآية ليبينَ أَنَّهُ وَاسِعُ المَغْفِرة ، رؤوف بِعِبَادِهِ الضُّعَفَاء ، رَحِيمٌ بِهِمْ ، يغفر لهم مَا سَلَفَ مِنَ الذُّنُوب : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [69] .

---

(65) انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 14/28 .

(66) انظر : المرجع السابق ، 14/28 .

(67) سورة آل عمران : الآية 135 .

(68) سورة يوسف : الآية 87 .

(69) سورة الزمر : الآية 53 .

وكذلك شَرَعَ تعالى الكَفَّارات لِتَكُونَ مُخَلِّصَةً للعباد ، ومُنَجِيَةً لهم من الذنوب ، وبعدما ذَكَرَ اللهُ تعالى الظِّهَار إِجْمالاً , وكشف عن بُهْتَانِه ، شَرَعَ في تفصيل أحكامه ؛ فجاءت الآية بعدها لبيان حُكمِه إذا وقع .

قال تعالى : { وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [70] .

عَطَفَ عَلَى جُمْلَةِ : {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ} ، أُعِيدَ المُبْتَدَأُ فِيهَا لِلاهْتِمَامِ بِالحُكْمِ وَالتَّصْرِيحُ بِأَصْحَابِهِ [71] .

وجاء حرف العطف (ثُمَّ) مُفِيدًا الترتيب مع التراخي ؛ ليعطف الفعل (يَعُودُونَ) على الفعل (يُظَاهِرُونَ) [72] .

وجملة : {ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ} تفيد التعليل لفرض الله تعالى الكَفَّارَة , وللإجابة لِمَنْ يسأل : لماذا فرض الله تعالى الكَفَّارَة ؟ ، وقد ذكرها المَولَى (عَزَّ وجَلَّ) قَبْلَ إكمال حكم الكفارة ؛ للتغليظ والتهديد والترهيب [73] ؛ لإيقاظ القلوب وتربية النفوس ، والتقدير : (فاللهُ بِمَا يَرْدَعُكُمْ بَصِير) .

ويُستفادُ مِنَ الآية أَنَّ مَنْ أرادَ الرجوعَ من المُظَاهِرِينَ فَعَليه الكَفَّارة , وهنا تحذير للمظاهرين الذين يخونون أنفسهم ، ويعودون إلى معاشرة أزواجهم من دون الكفارة , ويُؤَكِّدُ أنهم مُؤَاخَذُون بتعديهم على حدود الله [74] .

---

(70) سورة المُجَادَلة : الآية 3 .

(71) انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 15/28 .

(72) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(73) الشَّوكَانِيّ : فَتْح القَدِير ، تحقيق يوسف الغوش , دار المعرفة ، بيروت , ط4 , 1428هـ - 2007م ، ص 1465.

(74) عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن ، الكتاب الرابع عشر, ص 819 .

وقوله : { بِمَا تَعْمَلُونَ } ، أي تُجَدِّدُونَ فِعله ، وقوله : { خَبِيرٌ } ، أي عَالِمٌ بِظَاهِره وباطنه ؛ فهُوَ عَالِمٌ بما يُكَفِّرُهُ ؛ فافعلوا ما أَمَرَ اللهُ به ، وقِفُوا عند حُدُودِهِ [75] ؛ فالخبير : هو العليم بما خَفِيَ من الأمور .

وجملة : { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } جملة اسمية ؛ لإفادة التأكيد ، والدلالة على الاستمرار ، وقال ابن عاشور: إنها تذييل لِجُمْلَةِ : {ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ } [76] .

قال تعالى : { فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[77] .

في تلك الآية جانبٌ من مظاهر لُطْفِهِ (سبحانه وتعالى) ، وتيسيره على عِبَادِهِ الضُّعَفَاء ؛ فَمَنْ لم يجد منكم رَقَبَةٌ لِلعِتْق ؛ فعليه بصيامِ شَهْرَينِ مُتَتَابِعَينِ دون فاصل , ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيهِ إطعام سِتِّينَ مِسْكِينًا ؛ فقد جَعَلَ اللهُ تعالى الكفارات مُتَنَاسِبَة مع حال العاصي ، ومنظور فيها إلى الذنب الذي اقترفه ؛ ليستشعرَ الإنسانُ عظيمَ نِعَمِهِ تعالى .

إنَّ كَفَّارَةَ الظِّهَار مُرَتَّبة ، ولا يَصِحُّ الإتيان بالكفارة الثانية إلا إذا عجز عن الأولى , ولا يَصِحُّ الإتيان بالثالثة إلا إذا عجز عن الثانية .

وفي قوله تعالى : {ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} تعليل لبيان أن تلك الكفارة لتصحيح الإيمان بالله ورسوله [78] ، وكذلك لتشنيع عادة الظِّهَار [79] ، ولحقت لام التعليل بالفعل المضارع (تُؤْمِنُوا) ؛ لِتُؤَكِّدَ ذلك .

والمعطوف عليها جملة {وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ} , التي تفيد تعليل وصفه تعالى لهم بالكافرين في خاتمة الآية واستحقاقهم العذاب { وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } .

---

(75) انظر : البقاعي : نَظْمُ الدُّرَرِ ، 351/19 .

(76) انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 19/28 .

(77) سورة المجادلة : الآية 4 .

(78) عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن ، الكتاب الرابع عشر , ص 820 .

(79) انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 22/28 .

وقوله تعالى : { وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ؛ لبيان أن مَنْ تَعَدَّى حُدُودَ اللهِ تعالى يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلعِقَاب الأليم ، وأُطْلِقَ اسمُ (الكَافِر) على مُتَعَدِّي هذه الحدود تغليظًا للزَّجْرِ [80] ، كما قال تعالى فِيمَنْ تَهَاوَنَ عن فريضة الحج : { وَ مَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّه غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [81] .

وَالإِشَارَةُ فِي قوله تعالى : {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} إِلَى مَا أُشِيرَ إِلَيهِ بـ(ذلِكَ) ، وَجِيءَ لَهُ بِاسْمِ إِشَارَةِ التَّأْنِيثِ لِلإِخْبَارِ عَنْهُ بِلَفْظِ (حُدُودُ) ؛ إِذ هُوَ جَمْعٌ يَجُوزُ تَأْنِيثُ إِشَارَتِهِ كَمَا يَجُوزُ تَأْنِيثُ ضَمِيرِهِ [82] ، وتلك الجملة تُتَمِّمُ مَا قَبْلَهَا [83] .

وقوله تعالى :{ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ، فيه من الترهيب والزجر لتارك حُدُود الله ومُتعدّيها ؛ حَتَّى إِنَّهُ جَعَلَهُ كَمَنْ كَفَرَ بعد إسلامه .

لقد سَمِعَ اللهُ تَعَالى شكوى تلك المرأة ، وأجابها بأن أنزل فيها قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة , وكذلك جعل للظِّهَار حُكْمًا وحدًّا فاصلاً , وكَفَّارة زاجرة لمن يرتكب هذا الذنب .

خاتمة البحث:

المقصود ببناء المعاني وعلاقاتها : ترتيب الأفكار والموضوعات في السورة في بناءٍ واحد , واتصالها وترابطها , وتَوَلُّد بعضُهَا مِنْ بَعْض , وتوزيعها بين ما هو أساسي وما هو فرعيّ ؛ لتحقيق المقصد الرئيس الذي جاءت السورة من أجله ؛ ولذلك نَدْرُسُ السُّورَةَ في بناءٍ واحدٍ مُحْكَم البُنْيَان ؛ لِتَكُونَ الآياتُ أجزاءَ ذلك البنيان ولَبِنَاته .

ولهذا البُنْيَان ركائزٌ هي المعاني الرئيسة والمقاصد الأساسية ، التي تفرعت منها معانٍ أُخْرَى فَرْعِيَّة .

ويتعلق مصطلح (بناء المعاني) بدراسة السورة القرآنية في بناءٍ واحد ، والبحث عن الروابط الداخليَّة للنص القرآنيّ , وذلك بترتيب الآيات والموضوعات في نَسَقٍ واحد من مطلع الآيات لخاتمتها ؛ للوصول إلى المقصد العامّ للسورة , وتحديد موضوعاتها الفرعيَّة .

---

(80) انظر : أحمد مصطفى المَرَاغي : تفسير المَرَاغِي ، 8/28 .

(81) سورة آل عمران : الآية 97 .

(82) انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 22/28 .

(83) انظر : المرجع السابق ، 23/28 .

فلكل سورة هدف محوري وغرض بارز يُطلق عليه المقصد العام للسورة , ترجع إليه سائر الأغراض التي تفرعت منه .

وقد وَرَدَ للسورة الكريمة عدة أسماء ، منها : سورة (المُجَادلة) بفتح الدال وكسرها , وسورة (الظِّهَار) , وسورة (قد سَمِعَ) .

المقصد الرئيس لسورة المجادلة هو بَيَان ما ينبغي أَنْ يَتَّصِفَ به المسلمُ الحقّ , وتصحيح عقيدته في أموره المختلفة فردية كانت أو جماعية , وذلك من خلال أحداث أُخِذَتْ من واقع المجتمع المَدَنِيّ الإسلاميّ .

لقد تعددت موضوعات السورة وأهدافها الفرعية ، ومنها : الأهداف الإيمانية (مراقبة الله تعالى في السر والعلن – معرفة سَعَة عِلْمِه ورحمته وعفوه – تأكيد شِدَّة بأسه وعقابه)

فجاء المقطع الأول من سورة المجادلة : حُكْمُ الظِّهَارِ , وَكَفَّارَتُهُ : وضَمَّ الآيات من مقدمة السورة إلى الآية الرابعة , وفيه ذِكْر قَضِيَّة الظِّهَار ، وحُكْمِه ، وكفارة ذلك القول الأثيم .

المَصَادِرُ والمَرَاجِعُ

أولا : المَصَادِر :

*** ابن فَارِس – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزوينيّ (ت395هـ) :**

1- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، القاهرة ، 1399 هـ – 1979م .

*** ابن مَنْظُور – جمال الدين أبو الفضل مُحَمَّد بن مُكَرَّم (ت711هـ) :**

– لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت .

*** الأَلُوسِيّ – شِهَاب الدِّين مَحْمُود بن عبد الله الحُسَينِيّ (ت1270هـ) :**

2- رُوح المَعَانِي في تَفْسِير القُرْآنِ العَظِيم والسَّبْعِ المَثَانِي ، تحقيق علي عبد الباري عَطِيَّة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1415هـ – 1995م .

*** بَدْرُ الدِّينِ الزَّرْكَشِيّ – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بَهَادِر (ت 794هـ) :**

3- البُرْهَان فِي عُلُومِ القُرْآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط1 ، 1376 هـ – 1957 م .

*** البَغَوِيّ – أبو مُحَمَّد الحُسَين بن مَسْعُود (ت510هـ) :**

4- تَفْسِيرُ البَغَوِيّ ؛ مَعَالِم التَّنْزِيل ، حَقَّقَهُ وخَرَّج أَحَادِيثَه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميريَّة ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة ، الرياض ، 1412هـ – 1992م .

*** البِقَاعِيّ – بُرْهَان الدِّين أبو الحسن إبراهيم بن عُمَر (ت885هـ) :**

5- نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، 1404هـ – 1984م.

*** التِّرْمِذِيّ – أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت279هـ) :**

6- سُنَن التِّرْمِذِيّ ، وهو الجَامِعُ الكَبِيرُ ، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات , دار التأصيل , القاهرة , ط1 , 1435هـ – 2014م .

*** أبو داود السِّجِسْتَانِيّ – سليمان بن الأشعث (ت275هـ) :**

7- سُنَن أَبِي دَاود ، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي , دار الكتب العِلْمِيَّة , بيروت ، لبنان , ط1 ، 1416هـ – 1996م .

*** الزَّمَخْشَرِيّ – أبو القاسم مَحْمُود بن عُمَر بن أَحْمَد (ت538هـ) :**

8- تَفْسِيرُ الكَشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعُيُونِ الأقاويل في وُجُوهِ التأويل , اعْتَنَى به وخَرَّجَ أحاديثه وعَلَّقَ عليه خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة , بيروت ، لبنان ، ط3 , 1430هـ – 2009م .

*** السَّعْدِي – عبد الرحمن بن ناصر (1376هـ) :**

9- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق عبد الرحمن بن مُعَلاَّ اللُّوَيحِق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت , ط1 , 1423هـ – 2002م .

*** أبو السُّعُود العِمَادِيّ – مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُصْطَفى (ت982هـ) :**

10- تفسير أبي السعود ؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د . ت .

*** السِّيُوطِيّ – جَلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن بن أبي بكر (ت911هـ) :**

11- الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق شُعَيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ناشرون , دمشق , سوريا , ط 1 , 1429هـ . 2008م .

*** الشَّرِيف الجُرْجَانِيّ – عَلِيّ بن محمد السيد (ت816هـ) :**

12- معجم التعريفات ، تحقيق ودراسة محمد صِدِّيق المنشاوي , دار الفضيلة , القاهرة ، 2004م .

*** الشَّوكَانِيّ – مُحَمَّد بن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن عبد الله (ت1250هـ) :**

13- فَتْح القَدِير ، تحقيق يوسف الغوش , دار المعرفة ، بيروت , الطبعة الرابعة , 1428هـ - 2007م .

*** عبد القَاهِر الجُرْجَانِيّ – أبو بكر بن عبد الرحمن (ت471هـ) :**

14- أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى ، القاهرة ، دار المدني ، جدة ، ط1، 1412هـ - 1991م .

15- دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ط2 ، 1989م .

*** العسكريّ – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395هـ) :**

16- كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر ، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 2 ، 1971م .

*** فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيّ – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت606هـ) :**

17- تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1420هـ - 1999م .

*** الوَاحِدِيّ – أَبُو الحَسَن عَلِيّ بْن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن عَلِيّ (ت468هـ) :**

18- أسباب النزول ، تخريج وتدقيق عصام بن عبد المحسن الحُمَيدَان , دار الإصلاح , الدَّمَّام , المملكة العربية السعودية ، ط2 , 1412هـ - 1992م .

ثانيًا : المَرَاجِعُ العَرَبِيَّة :

*** أحمد الريسوني :**

19- مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة , الشبكة العلمية للأبحاث والنشر , بيروت ، لبنان , ط1 , 2013م .

*** أحمد مصطفى المَرَاغي :**

20- تفسير المَرَاغِي , مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي , القاهرة , ط1 , 1365هـ - 1946م .

*** عبد الكريم الخطيب :**

21- التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1970م .

*** محمد الطاهر بن عاشور :**

22- التحرير والتنوير (تَحْرِير المَعْنَى السَّدِيد ، وتَنْوِير العَقْل الجَدِيد من تفسير الكتاب المجيد) ، الدار التونسية للنشر , تونس , 1984م .

*** مُحَمَّد عَزَّة دَرْوزة :**

23- التفسير الحديث ؛ ترتيب السور حسب النزول ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1421هـ - 2000م .

*** محمد علي الصابوني :**

24- صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط4 ، 1981م .

*** محمد ناصر الدين الألباني :**

25- صحيح سُنَن النَّسَائِي , مكتبة المعارف للنشر والتوزيع , الرياض , ط1 , 1419هـ - 1998م .

*** محيي الدين الدرويش :**

26- إعراب القرآن الكريم وبَيَانُهُ ، دار اليمامة ، دمشق ، بيروت ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط7 ، 1420هـ - 1999م .

*** مُنِيرة محمد ناصر الدوسري :**

27- أسماء سُوَر القرآن وفضائلها ، دار ابن الجوزي , الدَّمَّام , المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1426هـ - 2005م .

ثالثًا : الدَّورِيَّات :

*** بشرى عبد الرحمن الزومان :**

28- علاقة اسم السورة بمقاصدها ؛ جُزْء المُجَادَلَة نَمُوذجًا ، مجلة الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، المجلد (37) ، العدد (11) ، يناير 2018م .

*** عبد الله عثمان علي المنصوري :**

29- المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال : أيسر التفاسير لكلام العلي القدير لأبي بكر الجزائري , مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية , اليمن ، العدد (10) ، 2013م .